سُذَّج أغرار غافلون، لا يفطنون لهذا المكر الرباني الحكيم، وأمر اللّه البحر ـ الجندي المطيع ـ أن يعود كما كان، وأمر الأمواج أن تلتقي وتتلاءم وتعود كما كانت، وأطبقت الأمواج على فرعون وجنوده الكافرين.

فرعون يؤمن بعد فوات الأوان:

لما صار فرعون تحت الماء، وعاين الموت أمام عينيه، وتكشفت له الحقيقة بارزة، وعرف نفسه على ضآلتها وحقارتها وقزامتها، وتبددت من حوله «الهالة» المتخيَّلة، المصنوعة من السلطان والربوبية والحاكمية، فها هو ذا عاجز تحت الأمواج أعلن إيمانه اليائس، وعنَّفه مَلَك الموت على هـذا التأخير، وأخبره برفض اللّه قبول هذا الإيمان الذي ولد ميتاً من إنسان ميت.

﴿ وجاوزنا ببني إسرائيل البحرَ فأتْبَعَهم فرعونُ وجنوده بَغْياً وعَدْواً. حتى إذا أدركَه الغَرَقُ قال: آمنتُ أنَّه لا إلَه إلاّ الذي آمنت به بنو إسرائيل، وأنا من المسلمين. آلآن وقد عَصَيْتَ قَبْلُ وكنتَ من المفسـدين. فاليـوم نُنَجِّيك ببدنك، لتكونَ لمن خَلْفَك آيةً، وإن كثيراً من الناس عن آياتنا لغافلون ﴾[1].

ومات فرعون بين الأمواج، وأمر اللّه الأسماك ـ وهي الجنود المطيعة للّه ـ أن لا تأكل جثة فرعون، وأمر اللّه الأمواج ـ وهي الجنود المطيعة للّه ـ أن تقذف بهذه الجثة المنفوخة الممتلئة بالماء على شاطىء البحر. وصار الناس يمرّون بهذه الجثة، ويرون هذا «الفرعون» المتألّه، ويعجبون من منظره الفريد الذي يقدّم للمتبصرين الكثير من المعاني والدلالات. وصدق اللّـه ﴿ فاليوم ننجِّيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية ﴾.

---

(١) يونس: ٩٠ ـ ٩٢.